مشاهدٌ يتلُوهَا البدويّ

ISBN: 978-605-06846-9-8

عنوان الكتاب: مشاهدٌ يتلُوها البدويّ | شعر

اسم المؤلف: حسين الضّاهر

الطبعة الأولى، ٢٠٢١

جميع الحقوق محفوظة ©

دار موزاييك للدّراسات والنّشر

الفاتح -اسطنبول -تركيا

E-mail: rameta12009@hotmail.com

لا يسمحُ بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزءٍ منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلهِ بأيّ شكلٍ من الأشكال دون إذنٍ خطيّ مسبق من النّاشر.

شِعر

مشاهدٌ يتلُوها البدويّ

حسين الضّاهر

إلى الدنيا...

لم أكتب لأحرّك تراب الدهشة في حقل وجدانكِ

ولا لأسند جرّة الكون بحرف...

لم تكن كلماتي خيطًا يرتق ثقب الأوزون

ولا رصاصة تثقب صدر الطاغية...

ببساطة

أكتب لأصنع كدمات في وجه الفراغ.

1

أنا كائن ضعيف وحزين...

أمي تعلم بالأمر

وتتبرأ منه في جلساتها الدورية مع الجارات

أبي يعلم بالأمر

ويردد كل ما رآني: "ثلثين الولد خاله"

أخواتي يحاولن إخفاء الأمر عن أزواجهن

زوجتي لا تحرّك ساكنًا فهي الأخرى ضعيفة وحزينة مثلي

ألم تُخلق من ضلعي؟

ألم أُخلق من ضلعها؟

أطفالي يعلمون بالأمر

ويهمسونه في آذان أصدقائهم في منتصف
حصةالرياضيات

أصحابي يروون النكات عن ضعفي

ويقهقهون...

أخوالي يعلمون ويتّهمون أعمامي

أعمامي منشغلون بجمع محصول الزيتون

ولا يولون أهمية لكلام الناس

البقّال في أول الشارع يعلم

لذلك لا يعطيني علب السجائر بالدّين

إمام المسجد يكتفي بالدعاء لي

... بالصلاح

الأنبياء يعلمون، ويقولون:

"المؤمن القوي خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف"

سائق التاكسي يأخذ مني أجرة مضاعفة

ويركلني في منتصف الطريق

القصيدة العمودية تعلم

لذلك لم تتقن كتابتي...

الإناث جميعهن يعلمن فيبتعدن عني مسافة أمان

الشرطي يعلم

لكنه لا يحاول إلقاء القبض على الجاني

السارق يعلم

ويتربّص ببيتي طوال الوقت

بصقني الوطن خارج أسواره

لم تمنحني الغربة سوى لسانها البذيء

كلاب الشوارع لا تكلّف نفسها عناء النباح

أحجار الرصيف لا تحتفظ ببصمات أقدامي

أنا تائه دائمًا...

أنا أعلم لكنني أخفي الأمر عني

أنتم الآن ستعلمون

وستكتفون بتمرير أيقونة أحزنني بيدٍ...

وتشربون الشاي باليد

الأخرى.

2

خلف هذا الباب أيضًا

يربض الأمل

كإله بوذيّ متعب

لا تغريه فكرة تغيير لون شعركِ

إلى الأصفر الروسي

ولا استغاثات أولادنا الذين قتلوا

فور نزولهم من طائرة الـ PUBG

ماذا سأفعل إن خمدت نيران الغد في صدركِ

أو بعد هذه القصيدة؟

ماذا سأقول لحدسي المرتمي

في أحضان الحزن؟

كيف سأنهي هذه الكلمات

دون أن أسلب القارىء ابتسامته الأخيرة؟

أجل

"أكو أمل بالطيارة!".

3

تُخلق

تحبو

تمشي

تُحلق

... تسقط

لم تكن الأرجوحة في بيتكَ العتيق

سوى تمرين مبكر على الطيران

الآن

أنت الحجر العالق

في قعر حذاء الحياة

تضايق مشيتها

فترميك...

حبيبتك التي تبني من تفاصيل وجهك

ناطحة أوهام ضمن المخطط التنظيمي للحب

أمك؛ خزان دموع العائلة

أبوك الذي لا يملك في الدنيا سوى "ريموت" التلفاز
وتابوتًا تتمدد فيه عشر سجائر

قلقك

هم الباقون

بعد أن تغلق على نفسك

نوافذ الهواء

في الليل/ كل ليل

تستيقظ الخطوات عن الطريق، تستلقي في أرضها
الأصوات

لتجد بين يديكَ قصيدة أخرى

كهذه.

4

لن أذهب معكم اليوم إلى الهاوية

ببساطة

لا أملك جسدًا مناسبًا للخروج

فقد أعرته لغربة قريبة

ولم ترجعه بعد

لذا

سأبقى هنا عاريًا مني

أفتش "مقاطع اليوتيوب"

لأصنع هاويتي المنزلية

وأسقط فيها مع عائلتي متى نشاء.

5

هل سترجع؟

أنت النبي تحت سقوف بلدان العالم الأول

لم تلبس الخوف

اضرب بعصاك البحر

واجعله شطرين كما في الأمنيات

ومرّ

ستجد

كل شيء مازال في مكانه... ينتظرك

حليب أمك

ينتظرك

أمعاء أصحابك الخاوية

تنتظرك

حانات الماضي الناقص

دود الأرض

رائحة مني الجنود قساة الملامح

ركام الهشاشة التي بنيتها برشوة شرطي البلدية

تنتظرك

والحقول

الحقول انهزمت واستفاق الرماد

فمن سيشتري وطنًا بمقابر شرهة وعكاكيز عرجاء سواك؟

(نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى)

وابق هناك.

6

(إلى فضيلة الشامي)

ظننتكِ

شجيرة قاحلة على رمال المنفى

مثلنا

أو قبلنا بفأسٍ وخريفين

عرفتكِ

تشبهين رائحة البرتقال

في شتاءات الشرق الجريح

عرفتكِ

تسبقين المسافة إلى المسافة

تسبقين المجاز إلى بطن القصيدة

تسبقين الهواء إلى خيامنا

نحن البدو التائهين في المدن الإسمنتية العريقة

أيتها المضرّجة بالعنب والجبال

انزلي في كؤوس عشّاقكِ ولو على هيئة ملح أجاج

انزلي

وأغرقيهم

كعملات معدنية في بركة قلبك المخملي

لتعلمي

بأن الوشم الرابض على كتفكِ يتسلل كل ليلة

ليجمع مع النجوم رماد الفراشات

المتناثر حولكِ

للكِ

يا صوت الماء في هذا العطش العظيم.

7

لا شيء جديد

الشمس هي الشمس

والصغار الهاربون نحو قضم أظافرهم ما عادت تسعدهم أيام العطلة

الجمعة عطلة

السبت عطلة

يوم النزوح عطلة

اجتياز البحر بسترة نجاة عطلة باحتمالات

الوقوف ضمن المدى المجدي للرصاصة عطلة دائمة

الصغار صاروا يرتبون أحداث الحرب

ويحاولون حشر أيديهم الناعمة تحت أنيابها... يقولون:

الرصاصة أنثى

المدفع ذكر

للهاون صوت شهواني وهكذا... كما الكبار.

لا شيء جديد

الشعراء في أبراجهم على الأوهام يتكئون

والعائدون من الحقول يتفقدون أرجلهم

خمسة أصابع في كل رجل

يتفقدون الأرض

خمسة ألغام تحت التراب خير من قناص على الشجرة

يتفقدون السماء

خمسة طيور مهاجرة وليست طائرات

العائدات من الحقول لم يجرّبن كريمات الوقاية من الشمس.

لا شيء جديد

فقد كنا حطباً في مدفأة الوطن

والآن نحن الرماد في جِرار اللجوء

سينثرنا غريب في وجه أول ريح آتية.

لا شيء جديد

فبعد قليل سيرجع الليل من وكره البعيد

يترنح بجرعات كذب كبيرة

ليعطينا وعود السلام مدهونة بزبدة

سنصدقه

ونعود نرتب خيباتنا غدًا.

٨

بينما تعدّين النجوم

بسبابة تجرّ الصّحو من أذنه

ينكسر ضوء من معصم السماء إلى حافة رصيف الحي

ليس شهابًا هو حبلها السري

فلا تغرقي في زبد الأمنيات

خلف كل نجمة جوقة أصابع مبتورة

خلف كل رصيف كومة حروف نداء ضائعة

خلفكِ تنتحر السطور من كتاب ينازع الغبار في أعلى المكتبة

يا جمرة السهر التي عكرت هجود الرماد

ستهرب الدهشة يومًا من قصائد النثر لتجتمع حول
خصركِ الفضّي

أما أنا سأبقى أدور بعمري الصوفي حول الحزن

كلما ضربت دفوف الليل

اثنان وثلاثون شمعة في العراء

تشتعل تتراقص

أقرفص بين رقمين، لا بل خوفين

هي المسافة التي هرولت في عروقي

أقترب فأبتعد ويَلتهم الموت آخر الأرقام

وتنطفئ الشموع.

9

البارحة خلعتُ منقار قصيدتي

بعد أن نخرته استعارات الحنين

دفنته تحت إبط حقل قريب

فصحوت دجاجة

بجناحين من ماء وقمح

وصرت قادرًا على التحدّث بلسان طيني

لذا

سأغني لكم عن

بيوتنا الواطئة كالأمل

وعن أوهامنا العالية كالقصور

اليوم

في قنّي المطل على الكارثة

أرقد على بيض القلق

بانتظار أن يفقس مصائب صفراء لطيفة.

10

أتسلل إلى صوركِ

حين تبتلع "الحوتة"

قمر الماسنجر الأخضر بجانب اسمكِ

أنصت إلى حكايا فستانكِ

المسكون بالخرافات

لم يرم بي طائر اللقلق عند عتبتكِ

ولم تلدني حبة الملفوف

أنا ابن الخيبة والبرك الآسنة

أهلي ألقوا بي عند باب الله

فتلقفتني يدكِ مثل صدفة المطر

توقدين نار المحادثة

فأعود طفلًا حافيًا من الندوب

أقرفص منتظرًا رغيفكِ الأول

وحين ينتهي فستانك من سرد الحكاية

أعود بقلب جائع.

11

(مشاهد يتلوها البدوي)

المشهد الأول:

كنت نائمًا حين مرّت الحرب من قريتنا

وأمسكت بأيدي خمسة من أصحابي

أخذتهم خلف حائط الحياة الأخرى.

المشهد الثاني:

"وسادات هذي البلاد لا تفهم حزننا"

عبارة كتبها أحدهم على بوابة الليلة الأولى هنا

ومن حينها تمرّ عليّ الليالي كسلحفاة متوحشة.

المشهد الثالث:

زوجتي تتململ من صرير أسناني كل ليلة

أمضغ الكوابيس مذ وطأت هنا: أجبتها.

المشهد الرابع:

كما رسمتني من قبل

بكتفين متهدّلين وجسد هزيل

إلا أن أوهامي باتت أكبر من رأسي ويرهقني حملها.

المشهد الخامس:

وحده المطر يعرفني فلم أختبئ يومًا تحت مظلّة.

المشهد السادس:

كلما دخلتُ قرية تتسلل رائحة اللعب القديم

من نافذة الذكرى التي أغلقتها بأحكام أو هكذا أظن.

المشهد السابع:

غالبًا ما يسألني المارّة من أي مدينة سورية جئت

كي يستعيروا قليلًا من أوجاعي.

المشهد الثامن:

كل صباح أتسوّل خبزًا عاجلًا عن السلام

وعند المساء أنام جائعًا.

المشهد التاسع:

الفراغ كلب محبوس معي في نفس الغرفة.

المشهد الأخير:

لطالما كنت بدويًا في عينَي أمي

وفي ذاكرة أبي النزق دائمًا

عند الشروق بدويّ ثمل بكأس شاي

وعند الغروب بدويّ حالم

إلى أن تعلّمت التسكّع على خرائط "الغوغل مابس".

12

صباح الخير

أمازلتِ على قيد اللجوء مثلي؟

إذًا، لو تحملين معي رفات بعض المدن

فقد تعبت

خذي دمشق المكتظّة بالطعنات

خبّئي "بردى" في حمّالة صدركِ

وأخرجيه كلما داهمكِ الصحو

فلتأخذي بيروت شجرة التفاح

التي أنزلتنا إلى أرض الخطايا أول مرة

خذي منبج

أرض الماء والمحل

الفتاة الساذجة التي تذهب دائمًا برفقة الأوغاد

خذي كل البلاد

واتركي لي براعم هذه المدن السعيدة.

13

حين سقطت في بئر الشعر

كأي عالق

ظننتكِ حبل النجاة

لأكتشف أنكِ الغرق

حين انتابتني هشاشة العصفور

اتكأت على سلك كهرباء

وكتبت:

عيناكِ شتاء على أجنحة الحالمين

حين عاف العمر براري الطفولة

واستوطن دهاليز الكبار

قلت:

نصفّق للعمر وهو يهرول كعدّاء أولمبي

نصفّق له في أعياد الميلاد

ونطفئ الشمع بنفَس واحد

ثم نبكي في المقابر

عندما يجتاز خطّ النهاية منتصرًا.

أنا

وغرفة مقيّدة بالسكون

كآخر نون حاصرت قافية حاولت النّهوض

أنتِ

وآخر سطر من هذه البئر القاحلة.

14

اعذريني

لا أستطيع الاقتراب أكثر

قدماي مكبّلتان بملايين الأوراق الثبوتية والأختام

يداي فأس فقدت أسنانها

فصارت سكة تداعب خاصرة الأرض

وتلقي القمح في أفواه العصافير العاجزة

فمي زنزانة لآلاف الأجوبة المظلومة

والحرب ثوبٌ لا تكفيه حقيبة واحدة لنركب حافلة النسيان ونمضي...

الحرب موت لمرّة واحدة

السّلْم موت لثلاثين مرة قبل الموت

فاعذري هذه الجثة المرميّة فوق الرخام

ربما لم تواظب على تناول الحقيقة

وبقيت تتلصّص عليكِ من شرفة البرزخ.

في البدء لم يكن هناك شيء

فقط سؤال يتبختر كخنجر على حنجرة "مين ربك ولاك؟"

والأرض لم تكن قرية صغيرة

الأرض حاجزٌ كبير

كالمسافة في مخيّلة طفل، يشير إلى مقدار حبّه لأمه بانفراجة ذراعين

لكن الضّابط يلقي القبض على كل شيء يمرّ

متذرّعًا أن آدم كسر هويّته حين هبط إلى الأرض

الهبوط ثورة

الصعود ثورة

التفاحة الأولى ثورة

حمّالة صدركِ ثورة؛ تسقُط وتُسقِط كل أقنعة الرغبة.

والآن

بعد كلّ هذا الخراب

أحبّ فتاة تحبّ اللون الأصفر

ورائحة العجز المعشّشة تحت أظافري

فتاة من رمل

تتسلّل من بين أصابعي كل ليلة

قبل أن أفكّ وثاق غريزتي

فتاة من ريح

تداعب بقايا شعري الناجي من مجازر الجنون

فتاة افتراضية

ترسل صوتها الخزفي بتسجيل مغلّف بأوراق الصحف

وصور المفقودين

تقول: أحبّك

فتغرق الغرفة بشبر موسيقا

أقول: أحبّكِ

فتنبت سكين أخرى في ظهر المسافة.

هكذا يُقتل الملل في عصر "الميديا" والحروب النظيفة

هكذا ينبت الحبّ البلاستيكي

والورد البلاستيكي

والوجوه الواجمة

للملل أقول:

هاتِ سحابتك الخريفية لنصنع مشنقة للأصدقاء

للحبّ أقول:

في جوفي مئات القتلى وأطنان من القطن الطبّي

للورد أقول:

حضّر مخالبك الطرية

للوجوه أقول:

نعم، لا شيء يمكن أن يمحو هذا الصّحو أكثر من رصاصة عاقلة

لكِ أقول:

اعذريني لا أستطيع الاقتراب أكثر.

بينما تحضّرين الأجوبة للعشب الفضوليّ

بينما تمسحين مرآة المرحلة؛ طمعاً بعناق أقرب

بينما تفكّرين بمفردة جديدة تفسّر الحبّ بأنه لم يكن مصيدة وردية

لربّما تفكّكين مكوّنات قهوتك الصباحية الخجولة على الطرف الآخر من الكوكب

بينما تفعلين كلّ ذلك ببطء أو بسرعة عدّاء كينيّ

أنتظر هنا

كمارد انتزع معجزات الشرق من تحت جلده

وأبدلها بصفحة (Word)

صفحة فارغة

سيتسلّقها نمل القصيدة بعد قليل

ساحلًا مفردات العشق من أذنها

بعدها

لن يكون كانون جحرًا للوحدة.

نملة أولى:

قبل الآن لم أكن مؤمناً بضحكات الينابيع

ولا بالصور المتبسّمة على واجهات محال التصوير

كنت جنديًا في سرب نمل الحياة؛ أحفظ رائحة
"الغليكوز" وكعوب أحذية المارة

ثم أغرق رغمًا عن ذاكرتي في كأس شاي وسيجارة.

نملة ثانية:

مطر... مطر

في كتاب الصف الثاني

أنشودة لأطفال لم يختبروا الغرق، أو ربما اختبروه
مؤخرًا

ويوم تعيس لنملة لاجئة تشبهني.

نملة ثالثة:

في "مرطبان" السكر سنلتقي

مثل جائعين لقبلة

حينها ستنتهي الحكاية على أتفه ما يرام.

نمل... نمل...

يحفر في تربة الفكرة الهشّة

لتكون القصيدة ثقبًا ندفن فيه نجوم هذه الليالي السعيدة.

تعودين من عملكِ في وقت متأخّر

حينها تكون العيون قد بلغت فطامها

فأرضعها صورة أخيرة لوجهك الحليبيّ

وأرخي جثة أحلامي على هذا الفراش الذي لم يبرح مكانه منذ كانت الكلمة

في الحلم؛

تسقط ورقة التوت عن وجهي

فيراني الحشد نملة عاشقة سعيدة الحظ.

15

لا تشعلي أصابعكِ العشرة من بعيد

اقتربي لنلعن الظلام

نضرم النار بجثة الليل

نهرول حولها كعشّاق هذه المرّة

لنكتب في قائمة مشترياتنا "الحلم"

ونضيفه إلى وجباتنا المتأخرة بدل "الملح"

في السطر الثاني

تكونين الممحاة

تمرّين على مفردات الحزن

برقصة تحيلينها كذبة بيضاء ناصعة

في السطر الأخير

نطرد النقطة خارج النص

نرشق خلفها دلو ماء بارد

لنبقى مشرعين على ريح الحكاية.

16

يدكِ التي نصبت فخاخ الغواية

على طول درب القصيدة

الآن، تلملم عصافير خطيئتي

وأصابع القرّاء

أصابعي التي تجرّعت رشفة من خصركِ اللاذع

تعيش ثمالة أبدية

لون عينيكِ النازح من سبع سموات إلى أرضنا

يأخذ معونة ولهٍ كبيرة من قلبي المحاصر

قلبي المحاصر يحشو جيوبه عناقيد شغف من كروم صدركِ...

ويهرول.

17

المرأة التي عبرت الغرفة منذ قليل

أطبقت بأنيابها على قلبي وهرولت...

أخذت حروفي كلّها

وتركت النقطة في آخر السطر

أخذت الستائر والشمس المطلّة على جثتي

أخذت السماء وصوت العصافير الذي لا أتقنه

أخذت علبة الألوان

وتركت قلم الرصاص

لأرسم موتًا رماديًا

أنا الآن على أحسن ما يرام

أجدل من كلماتها الأخيرة حبلًا

أعلّقه على بوابة حزني

وأتدلّى.

18

حين تتوقفُ أرضيَ

عن اللُّهاث في مدارِ الحزن

لن أكتبَ لكِ

ولا للحبّ المنبعثِ من أزقِة المراهقين

هناكَ ما يستحقّ جهدي أكثر

كرسيّي المتجذّر في تربةِ السّهر مثلًا

كاميرا حاسوبي وهي تراقبُني كإلهٍ متأهّبٍ

خطواتِ البعوضِ الحائمِ حولي كخوفي

أبي الهائمُ في شوارعِ هذهِ البلدةِ مثل كيسٍ بلاستيكيّ فارغ

السّحابُ العالقُ في حنجرةِ الخريف

العصافيرُ المتناثرةُ على جسدِ السّماء

كشاماتٍ بعيدةٍ عن متناولِ فكرتي

عنّي

عن نافذتي المطلّة على اللّاشيء

عن اللّاشيء

وعن كلّ شيءٍ إلاكِ

فالقصيدةُ زنزانةٌ ضيّقةٌ

لا تتّسعُ لكلينا.

19

مذ قال {اهبطوا}

ونحن نبحث عن بيت للإيجار

عند تخوم القرى المنذورة للمزن

ولراحات ركاب البولمان

في زحمة المدن التي تأكل قضمة من وجهة الغرباء

أو بين أكتاف نعاس تطعنه أسهم "عدنان حمدان"

وصحو تترسب في جوفه

ابتسامة فتاة أخجلتها قبلة "كاساندرا" وعشيقها الغجري

الأغنية بيت يمتلكه الغجري

السّلْم بيت يتربّص به الخراب من نافذة الخبر العاجل

الحرب بيت مجاني

تشرب قهوتك على شرفته

كل صباح مع جثة جديدة

اللجوء بيوت لا تمنح أجسادها إلا للخائفين.

20

نبت للشجرة ظل ناضج يطل على الشارع فأسقطه فتى بفردة حذائه وراح يقسمه على أصحابه المنهزمين في معارك الظهيرة.

للفتية أسماء لا تطيل السّهر

وألقاب

تجيد الاختباء خلف جدران اللهو

عندما يستفيق غبار الحروب العائلية

ولهم أصابع من رغبة غضّة

تعدّ خراف الليل

واحد

اثنان

ثلاثة

فينسكب حليب النّعاس في أفواههم

وتغفو الظلال.

21

اليوم

يقف الشارع وحيدًا في الشارع

يركل أكياسنا الفارغة بحسرةٍ

ثم يمضي مطأطئًا رأسه

تقف إشارة المرور بوجه شاحب

لتنّظم سير قطعان الغبار

والأسئلة الشاردة

يقف الفراغ منتصرًا على الزّحام

بالضربة القاضية

يقف شرطي المرور وسط بيته

يلوح للضّجر ثم يكتب مخالفة بحقّه

وحده الرصيف يجلس في مكانه المعتاد

يدخّن بقايا خطواتنا المرميّة

ويضحك.

22

ما فائدة الخوف يا أمي؟

ها نحن نذيبه مع الماء

ونشربه منذ الأزل...

ما فائدة الشمس؟

"الشمس مخيّبة للآمال"

: هكذا قال صديقي "عبد الله الحريري"

هو طبيب لكنه لم يجد علاجًا لخيباته فاكتفى بتكديسها على السقيفة مع قصائده وشهاداته وزجاجات العرق الفارغة...

ما فائدة المشي بين الأشجار؟

ولم أعد ذاك الصبي التوّاق للتربة

لم أعد بدويًا

فقد تركت وشاحي المرقّط في ساحة المعركة

يجرّ جثة الماضي

ولا يقدر

الموت طفل وديع يا أمي...

لكنّ أباه أراد له اسمًا قاسيًا

كي يقيه التنمّر.

23

في هذه المدينة ارتكبت السّكون كقنّاص محترف

قتلتُ من الكلمات... كُتبًا

ومن الخطوات... دروبًا

ولم أسقط في أيدي المارّة.

بقليل من السعادة أغمض عيني اليسرى

أقتنص يمامة عابرة فوق بحيرة السماء

أقتنص قصيدة مارقة

سيجارة

وكأس شاي

وألعق أصابعي كذبابة منتصرة

في هذه المدينة سقطت يوم سقط يوسف

ولم يدركني السيّارة بعد

كقناص محترف أحشو السنين في مخزني بعجالة

وأطلقها نحو الخواء

ثلاثًا وثلاثين رصاصة من عيار الفشل المستمر

أطلقتها

وعدت أرتكب السّكون.

24

مرّ شتاء هذه المدينة ككلب أليف

بلا ندفٍ بيضاء

بلا ماء يركلُ عاطفة عاشقٍ سُجن في زنزانة "إذن السفر"

وبلا سماء أيضًا.

أرجو أن تسامحيني

لم تتسنّ لي فرصة الهرب

بعد كتابة اسمكِ على زجاج سيّارة تلتمس هدوء الشّوارع بأصابعها السوداء

لم ألتقط صورة مع رجل الثّلج الصابر على مخيّلة خالقه

لم أتمشّ تحت السّحب الراكضة نحوك

لم أرسل إليكِ القصائد

لتكون حطبًا في نار المسافة

ولم أزرع زهرة عبّاد شمس

كي تلتفت إلينا في لحظة اشتياق

لم أفعل شيئًا

بقيت أهرولُ داخل تطبيقَ الرّاصد الجويّ

ولم أجد طريقَ الوصول إلى دفئك.

25

في الثامنة من عمر كل ليلة

ألقي بظلي المترهّل على كرسيّ السّهر

وأبدأ برمي عظام الأرق

لكلب الوقت ذاك الباسط ذراعيه على الجدار

لا تسألي عن مكاني

فهذه الشرنقة الإسمنتية لن تتّسع لسرير تغفو عليه الأسئلة

ولا تقلقي...

هذا الصمت

ما هو إلا جثة نهار كان يعدو منذ قليل فوق الرؤوس الحائرة

الآن

لا وجه لي أدنو به من سماء لأقترض صباحين ورغيف شمس

لا يد لي ولا عشر عصافير على الشجرة

لا أرجل لي تسكب الصحو في فم الطريق

لا لسان لي تسحله أحرف الجرّ خارج النص أو داخله

لا أذن لي وهذا الطين ابن غير شرعي للماء

أما العجين فهو كذبة السنبلة

لا عين لي تقاوم مخرز المدى محلّقة إلى ما بعده

لا أنف لي أحشره في مجازات الأيام

لا شيء لي

فأنا الآن مجرد فزّاعة تهشّ ذباب الليل عن وجه القصيدة.

26

"الإنبوكس" الخاص بي

اتّسع وصار حقلًا...

أتمشى إليه في الصباح

لأسقي الشوك والأزهار ماءً ممزوجًا بالوعود...

أعود مساءً

أتربّص الأضواء الخضر

كجندي محاصر من ست جهات

اسألي حجارة "الكيبورد" عن ذلك

وكيف تتدحرج أيقونات الحزن لتستقر في وديان قلبي...

فقط حين أرى اسمكِ شاحبًا.

27

غداً ستنتهي الحرب

سيضع الشاعر يده على المجاز المناسب

حينها

ستلبس ألسنتنا ثياب الحياد

وتمشي بلا اكتراث على أسماء موتانا

ستنهض المدن من ركامها بعبثية مفرطة

ويرجع الرعاة

يفرغون حليب السهول

في أفواه القرى الضريرة

سيأتي ماعزٌ من جهة الجوع

يخترق جسد المقبرة

ليقضم ورد الشهداء

ولن يكترث لذلك أحد

ومجددًا ستركض بنا الأمهات

نحو العجائز

ليمسحن صدورنا بالزيت والتمتمة

لكنني سأبقى بارعًا في الخوف.

28

عند عتبة الحبّ

نخلع ألسنتنا

لنتحدّث بلسان الأغنيات...

عند نافذة الشتاء

نحرق أفكارنا المثمرة

لنُشعر البرد بجهله...

عند فوهة الحرب

نلقي بأصحابنا

ثم نبكيهم...

تحت ظل القلم

الدفتر الفارغ يرمي بجثته المتفسخة أمامنا

ينظر إلينا، يملأ الفراغ فراغًا

هو قتيل الشعر أيضًا

كما كنا دائمًا أمواتًا نمشي على الحروف

ونسقط بين السطور

عند نهاية القصيدة

نفلت كلاب الدّهشة

لتعضّ القرّاء.

29
(أمنية ليست أخيرة...)

معظمُ الّذين أعرفهم حصلوا على الجنسيّةِ التّركيّة

باتوا يحملونَ جوازَ سفرٍ يخوّلهم القفزَ بارتفاع ثلاثةِ أحلامٍ دفعةً واحدة؛ جوازٌ بغلافٍ أحمر كلونِ دمائنا الّتي عرفَتْها الأرضُ منذُ قليل.

أمّا أنا فلا أملكُ سوى علبةِ سجائرٍ قصيرة تختصرُ عليّ الانتظارَ في طابورِ الموتى المؤجّلين.

بالطبع هذه مناسبةٌ جيدةٌ لإعلامكِ بعودتي إلى التّدخين...

الآن لم أعُد أشعرُ بالوحدةِ ولا وقتَ لديَّ لفعلِ أيِّ شيءٍ آخر

فالفراغُ يملأ عليَّ وقتي ووحدتي.

لذلك وللمرةِ الأولى في حياتي اشتريتُ ساعةَ يد

البائعُ وكأنّهُ حصلَ على مشترٍ غبيٍّ، استفاضَ بشرحهِ عن مزايا الساعة؛ رخيصةٌ جدًا

وتشيرُ إلى السّاعاتِ والدّقائق والثّواني، والمربّعُ الصّغيرُ في أعماقها سيشيرُ للشهر حالما أطلقُ العنانَ لتكّاتها

لم أتململْ من شرحهِ، بصراحةٍ اغتنمتُ الفرصةَ للاستماعِ مجدّدًا لهذهِ اللّغةِ اللّعينة الّتي لم أتقن منها إلّا الشتائمَ

باستطاعتي شتمُ المدينةِ الّتي أسكنُ، والحيِّ الّذي لا تمرّينَ منهُ، وحتّى السّاعةَ الّتي سقطتُ فيها هنا

أتعرفينَ شيئًا من هذهِ اللّغةِ غيرَ الشتائم؟

مثلًا

كيف سأقولُ للبائع المتجوّلِ بأنَّ صوتَه يخيفُ اليمامةَ المعشّشةَ تحتَ إبط نافذتي؟

كيف سأقولُ لهذا النَّهر الشّاردِ يكفيكَ هراءً، لا تدّعِ أنّك الفُرات؟

كيف أقولُ للشُّرطيّ المنتصبِ عندَ حاجزِ الجسرِ الشّهير

أنا ابنُ الجنوبِ

جئتُكم على قدمينِ من طينٍ وزيتونٍ

جئتُكم لآكلَ أكلكمْ

وأقطفَ زرعكمْ

وأشتمَ بردكمْ

ولأسألكمْ عن الوقتِ في ساعاتِ أيديكم فاحتملوني،

دونَ أن أبرزَ له هويتي الشَّاحبة وأتمتمَ بكلماتٍ لن يفهمَها؟

كـيــف؟

يومًا ما سأكون شاحبًا

كلَيل شتائيّ

أتعكّز الجدران رفيقًا صلبًا

حينها

سأكون شاعرًا آخر

أفلت من براثن القصيدة.